الفصل الأول

مدخل إلى مشكلة الدراسة

- مقدمة
- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها
- أهمية الدراسة
- مصطلحات الدراسة

obeikandl.com

" الفصـــــــل الأول "

مقدمة :

منذ أن بدأت الخليقة على هذه الأرض ؛ شرع الإنسان في السيطرة على الطبيعة مستخدماً في ذلك قدراته العقلية التي حباه الله تعالي بها عن باقي المخلوقات لا سيما قدراته الابتكارية ، حتى صارت الحضارة الإنسانية كما هي عليها الآن ، " فالعالم لم يؤسس نهضته وحضارته على مجموعة العمليات العقلية التي تتعلق بحل المشكلات بقدر ما بنيت حضارته على تلك العقول التي أسهمت بإضافات جديدة لحضارة الإنسان ، والواقع أن الكشوف والابتكارات هي المسئولة عن التقدم الحضاري في مراحل تطور تاريخ الإنسانية " (**أحمد زكي صالح ، ١٩٧٩ ، ص ٧٠٢**) .

وعلى الرغم من تعدد التعريفات التي تناولت التفكير الابتكاري ، فإنه على أية حال لا يأخذ معناه إلا إذا نبع من البيئة التي يعيش فيها الفرد المبتكر ، حيث أن للظروف البيئية التي ينشأ فيها الفرد أهميتها ؛ فهي تعطيه حرية التعبير عن آرائه ، وأفكاره ، وتحقيق إنسانيته .

وتؤدي البيئة دوراً هاماً في التكوين البيولوجي ، والفسيولوجي ، والسيكولوجي ، لدى الأفراد والجماعات ، كما أن استجابة الأفراد للمؤثرات البيئية لها فاعليتها في تكوين المزاج العاطفي ، والعقلي ، وكذا طريقة التفكير التي تختلف من فرد إلى آخر ، ومن شعب إلى غيره ؛ فالبيئة – على اختلاف مكوناتها – لها الأثر الفعال في تشكيل المزاج النفسي لدى الشعوب ، وهنا يتفق الباحث مع ثيودوسيرس ديوزاتكس (١٩٦٩) (**ثيودوسيرس ديوزاتكس ١٩٦٩، ص ٨٧**) .

وفي هذا يذكر كل من جابر عبد الحميد ، وسهير محفوظ ، وسبيكة الخليفي (١٩٩١) أنه لا يقتصر دور الإنسان في تفاعله مع البيئة على مجرد استقبال مثيراتها من خلال حواسه المختلفة ؛ بل يقوم بتسجيلها ، وتفسيرها ، والاستدلال منها ، وتخيلها ، وهكذا ينخرط في صورة أخرى للمعرفة تعد بمثابة تمثيلات لهذا الواقع الخارجي مكوناً بذلك واقعه الداخلي ، وتؤدي إلى تراكم خبراته ، وتعينه على التفكير في الحاضر ، والتوقع ، والتنبؤ في المستقبل (**جابر عبد الحميد وآخران ، ١٩٩١ ، ص ١٤٤**) وقد أشار بعض علماء النفس أن تفاعل الفرد مع بيئته يحقق إمكانيات تؤدي إلى نتائج إبداعية ، يكون فيها الإبداع نتيجة لدافع فطري ، أو حاجة لدى الأفراد لأن يرتبطوا بالعالم المحيط بهم (**في : عبد الحليم محمود ، ١٩٧١ ، ص ص ٣١٤ - ٣١٥**) .

مشكلة الدراسة :

من المعروف أن البيئة بمكوناتها المختلفة تؤثر بشكل ما أو بآخر على النواحي المعرفية ، والوجدانية ، والانفعالية ، وأنماط التفكير لدى أفرادها ، ومن تلك النواحي تلك القدرة التي تعتبر - وبحق - مفتاح التقدم والرقي ، ألا وهي القدرة الابتكارية ، حيث أن القدرة الابتكارية تتأثر بشكل كبير بالبيئة التي يعيش فيها الفرد .

وفي هذا يرى تورانس *Torrance* أن الابتكار يتأثر بالاتجاهات السائدة في مجتمع ما ، وبدرجة تحضره حيث أشارت دراساته التي أجراها على حضارات مختلفة أن القدرات الابتكارية تختلف تبعاً للقيم ، والمعتقدات السائدة في مجتمع ما من المجتمعات ، وأبرزها قيمة الطاعة ، والخضوع التي تشكل سلوك أفراد حضارة ما ، وفي هذا توصل إلى وجود فروق في الأداء الابتكاري لدى هؤلاء الأفراد الذين يمثلون حضارات متباينة ، مما أدى به إلى تصور أن البعد الحضاري من الممكن أن يعد أحد العناصر الهامة التي تشجع نمو القدرات الابتكارية لدى أفراد مجتمع معين ، وقد أشارت دراسة هافجهرست *Havighurst* أن المبتكر ينبغي أن يكون متحرراً من التطابق ، والمسايرة ، وعلى البيئة المحيطة أن تيسر للمبتكر حرية الخطأ ؛ حيث أن الحرية تعتبر شرطاً أساسياً للعملية الابتكارية **(لويس كامل مليكة ، ١٩٧٩ ، ٢١٠ - ٢١١)** ، ولقد أشار عبد السلام عبد الغفار (١٩٧٣) إلى أن البيئة السمحة المرنة التي تحترم حرية الفرد في التفكير ، والتعبير عن آرائه ، ولا تتسرع في إصدار الأحكام على من يعبر عن فكره ، تلك البيئة التي تسمح بالتفكير الحر الذي يعتبر - وبحق - نقطة البداية في الابتكار **(في : زينب شافعي ، ١٩٨٧ . ص ١٣)** .

كما يتضح من الدراسات التي اهتمت بتناول البعد الحضاري وأثره على الابتكار ، أن تباين البيئات قد يؤدي إلى تباين التفكير الابتكاري لدى الأفراد الذين يعيشون فى تلك البيئات .

فقد أشارت دراسة عبد العزيز القوصي (١٩٦٠) والتي قارن فيها بين القرية والمدينة المصرية ، وأثرها على التوتر النفسي ، وأوضح في هذه الدراسة أن سيطرة الثقافة التقليدية في القرية المصرية يغلب عليها الثبوت ، بينما تتميز الثقافة في المدينة بسكن اكثر تحرراً ، وخرجاً على المألوف ، وتكيفاً مع الجديد ، وهذا الاختلاف في البيئة

يؤدي إلى زيادة التوتر النفسي عند أفراد المدن عنها عند أفراد الريف ، مما يؤدي بالضرورة إلى التأثير في القدرات الإبداعية .

وفي دراسة ناهد رمزي (١٩٧٩) عن أثر المستوى الحضاري على الإبداع من خلال التنشئة الأسرية للإناث ، وأسفرت الدراسة عن أن للمستوى الحضاري للمجتمع ، وما يوفره من إمكانيات الاتصال الذي يتيح تفتحاً على البيئة ، والخبرة ، والتجربة ، يساعد على نمو القدرات الإبداعية لدى أفراد هذا المجتمع (**في : لويس كامل مليكة ، ١٩٧٩ ، ص ص ٩٩ - ١٢٤**) .

أما دراسة سناء على محمد (١٩٨١) والتي هدفت تعرف أثر البيئة الريفية ، والحضارية على الإبداع الفني في رسوم الأطفال بالمرحلة الابتدائية ، وخلصت تلك الدراسة إلى وجود فروق دالة بين عينتي الريف والحضر في كل من الطلاقة ، والمرونة ، كما تقيسها اختبارات التفكير الابتكاري باستخدام الصور لصالح أطفال الحضر ، وكانت نتائج مقياس التعبير الفني في موضوع الأسرة لصالح أطفال الريف ، وقد فسرت تلك النتائج على أساس أن طبيعة المثيرات في اختبار تورانس ربما يكون لها أثرها في استثارة الثروة البصرية لدى الأطفال في الحضر ، والتي يفترض أنها أكثر اتساعاً من أطفال الريف ، بينما كانت محدودية المثيرات في اختبار التعبير الفني يرجع إلى تماسك الأسرة في الريف أكثر من بيئة الحضر (**سناء على محمد ، ١٩٩١**) .

كما يتضح من الدراسات التي اهتمت بالابتكار كقدرة عقلية مركبة قد تتباين بين أفراد الجنسين في البيئة الواحدة .

ففي دراسة سيد محمد الطواب (١٩٨٦) التي أسفرت عن وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في الطلاقة ، والأصالة لصالح الإناث ، بينما لم تسفر عن فروق في قدرة المرونة ، وقد أيده في ذلك نتائج دراسة شاكر عبد الحميد ، وعبد اللطيف خليفة (١٩٩٠) ، بينما تعارضت نتائج دراسة سناء علي محمد (١٩٨١) التي أسفرت عن وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في الأصالة لصالح الذكور ، وعدم وجود فروق دالة في متغير الطلاقة ، والمرونة .

والعرض السابق يوضح - بصورة لا جدال فيها - أهمية الدور الذي تلعبه البيئة في ابتكارية أفرادها ، لذلك يتجه الباحث - من خلال هذا البحث - إلى

obeikandl.com

تناول تباين البيئة واختلافها في علاقته بقدرات التفكير الابتكاري لأفرادها ، وذلك من خلال البيئة البدوية ، والبيئة الحضرية .

والبيئة البدوية – إحدى البيئات البكر التي لم تحظ بحظ وافر من الدراسات – ولم تتناولها رياح التطور والتكنولوجيا إلا بقدر محدود ، وتكون قطاعاً لا يستهان به في المجتمع العربي ؛ حيث يشغل البدو ثلث الصحراء العربية ، إضافة إلى أن الكثير من قيم البيئة البدوية لا زالت حية ، وتطلق البيئة البدوية على طبيعة فئة معينة من السكان يتميزون بخصائص معينة ، وسلوك خاص ترسمه البيئة المحيطة بهم ، فهي نمط من الحياة القائمة علي التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق ، وكذا نمط من أنماط الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية المتكاملة ، وهي حضارة بشرية في مقوماتها المادية ، والمعنوية (**سهير يوسف ، ١٩٩١ ، ص ص ١٥ – ٣٥**) .

وقد قسم " هينجير " *Henniger* البدو إلى نوعين :

(١) بدوي كامل *Full - Bedouin* (٢) نصف بدوي *Half - Bedouin*

والبدوي الكامل هو من يسكن الصحراء ، ويستخدم الرعي كمهنة ، والجمل كوسيلة مواصلات ، وهو لم يخرج من نطاق الصحراء ، بينما النصف بدوي فهو يسكن الصحراء ، ولكنه متحضراً نوعاً ما ؛ فهو يستخدم المواصلات الحضرية ، وشأنه شأن الحضر في المعيشة **(In : Joseph J . H . , 1989 , pp. 64 - 65)** .

وتتدرج هذه الجماعات البدوية من مجتمعات بدائية أولية ، والتي تعتمد في بقائها على الصيد ، وتسمى الجماعات المترحلة *Migratory* وذلك في مقابل الجماعات غير المترحلة ، والتي تسمى بالجماعات الزراعية المستقرة *Stationary* والتي تعتمد على الأنشطة الزراعية غير المتطورة (**جابر عبد الحميد ، وآخران ، ١٩٩١ ، ص ص ٣٧٢ – ٣٧٣**) .

كما أن للمجتمعات البدوية خصائص اجتماعية متميزة ، منها ما يتعلق بالعادات والتقاليد ، ومنها ما يتعلق بالقيم المتعارف عليها في المجتمع ، مثل مكانة الذكور أكبر – بشكل واضح تماماً – من مكانة الإناث ، والرضا والالتزام بحكم الكبار ، والخضوع لهم (**مركز النيل للإعلام ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦**) ، ويختلف بدو شمال سيناء – على وجه الخصوص – عن الحضر في لهجتهم الخاصة التي لا يعرفها سواهم ، أو من عاشروهم فترة

زمنية طويلة ، ولهم عاداتهم ، وقيمهم ، واتجاهاتهم الخاصة التي لا زالوا يتمسكون بـــها (مركز النيل للإعلام ، ١٩٨٧ ، ص ١٢) .

وملاحظة الباحث المباشرة – باعتباره أحد أبناء شمال سيناء – للوسائل المبتكـــرة التي يلجأ إليها بعض بدو هذه المنطقة في الزراعة ، وغيرها للتكيف مع البيئـــة الطبيعيـــة الصحراوية المحيطة بهم ، وللاستجابة للحاجات الاقتصادية التي تؤدي دوراً هامـــاً فـــي النشاط الإبداعي وربما زاد من درجة هذا النشاط الإبداعي عدم التأثر إلى حد كبير برياح التغير والتطور في هذه المنطقة .

وعلى النقيض نجد أن البيئة الحضرية قد تأثرت بشـــكل بعيـــد برياح التطـــور والتكنولوجيا بما له ، وما عليه ، وتعرف البيئة الحضرية بأنها عدد كبـــير مـــن النـــاس ، والأنشطة تتركز في منطقة جغرافية محدودة ، بقصد توفير أبعاد الحيـــاة الإنســـانية فـــي تنظيم اجتماعي (جابر عبد الحميد ، وآخران ، ١٩٩١ ، ص ٤٠٤) .

ويطلق – أيضاً – مصطلح الحضر على مجموعة من السكان المســـتقرين التـــي تعيش في المدن في أي بلد في العالم ، وتقوم بينهم علاقات اجتماعية مختلفـــة ، ويـــتركز نشاطهم في الحكم ، والتجارة ، والصناعة ، والمهن المختلفة .

ويرى اسحق القطب (١٩٧٧) أن حياة المدينة تتضمن أساليب خاصة من الأفكـــار المستخدمة ، واستخدام الوسائل ، والطرق التكنولوجية ، وتكون استجابة الفرد في المدينـــة نحو التجديد ، والتغير باستمرار ، ويكون أكثر قدرة على الحركة ، والتنقـــل ، واقتبـــاس القيم الحضرية ، والتفاعل مع الآخرين ، واستيعاب القواعد ، والقوانين التي تنظم الحيـــاة في المدينة (في : سبيكة الخليفي ، ١٩٨٦ ، ص ص ١٩ - ٢٠) ، ويرى لويس كامل مليكـــة (١٩٨٥) أن الثقافة السائدة في مجتمع ما ، والتي تتيح حرية وسائل الاتصال الثقافي لكـــل مواطن دون تمييز تساعد على نمو القدرة على التفكير الابتكاري (لويـــس كـــامل مليكـــة ، ١٩٨٥ . ص ص ٨٧ - ٩٠) .

ونظراً لأن اختلاف البيئة بمكوناتها المختلفة قد تلعب دوراً فـــي تيســـير عمليـــة الابتكار ، أو إعاقته ؛ وذلك حسب تلك البيئة سواء كانت حضريـــة خالصـــة ، أو بدويـــة خالصة ، أو نصف بدوية ، فقد ظهر من الأدلة البحثية التي تؤيد تلك الرؤيـــة ، ومنـــها : دراسة ألفين *Alvin* (١٩٧٥) التي خلصت إلى أن ارتفاع درجة الحرارة قد يؤثـــر ســـلبياً

على الابتكار بشقيه اللفظي والعملي (Alvin H . , 1975 , pp. 183 – 187) ، ودراسة فوس *Voss* (١٩٧٧) التي خلصت إلى أن الابتكارية يمكن أن ترتفع في مستويات الضوضاء المنخفضة عنه في مستويات الضوضاء المرتفعة (Voss , 1977 , pp. 3- 7) ، كما خلصت دراسة بيتر *Peter* (١٩٨٦) إلى أن العادات السائدة في المجتمع تؤثر بالسلب أو الإيجاب على نمو القدرة على التفكير الابتكاري حسب طبيعة هذه العادات (في: سام اسحق ، ١٩٩٠ ، ص ٣٣) ويرى لويس كامل مليكة (١٩٨٥) أن الأساليب التي تستخدمها الأسرة لأطفالها من خلق جو الخوف لدى الطفل بواسطة كائنات خرافية ، واستخدام العقاب البدني لخضوعهم للطاعة ، تؤدي إلى الارتباط بشكل سلبي مع الابتكار (لويس كامل مليكة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٨٠ – ٨٤) ، وفي دراسة سيد صبحي (١٩٧٦) وجد أن الاتجاهات الوالدية الخاطئة تربوياً ، ونفسياً تؤثر سلبياً على قدرات الأبناء الابتكارية ، وفي هذا الصدد يرى ويرى أريتي *Arieti* (١٩٧٦) أن هناك عوامل ثقافية نفسية داخلية اعتبرها ضرورية لتنمية الابتكار ، وهي : توفر الإمكانات الثقافية والمادية ، الانفتاح على المثيرات الثقافية ، التأكيد على الاستمرارية والصيرورة *Becoming* لا على مجرد الوجود *Being* ، وإتاحة حرية استخدام وسائل الاتصال الثقافية لكل المواطنين دون تمييز ، والتحرر من التمييز أو حتى الإبقاء على درجة معتدلة منه بعد القمع الشديد أو الاستبعاد المطلق يعتبر حافزاً للابتكار ، والتعرض لمثيرات ثقافية مختلفة بل حتى متعارضة ، وتحمل وجهات النظر المختلفة وإبداء الاهتمام بها ، وتفاعل مجموعة من الأفراد المتميزين ، والإكثار من الحوافز والجوائز (في : لويس كامل مليكة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٧٧ – ٨٠) ، كما يرى عبد الستار إبراهيم (١٩٧٨) أن من العوامل التي تعوق التفكير الابتكاري لدى الأبناء هي اهتمام الأسرة الموجه نحو إثارة الذكاء ، وتشجيع التحصيل المدرسي المجرد ، والنجاح الأكاديمي ، أو المهني ، والتكيف العقلي لقواعد النجاح في المجتمع بشكل عام (في : أحمد عبد اللطيف عبادة ، ١٩٨٦ ، ص ٦٥٩) .

تساؤلات الدراسة :

في ضوء ما سبق ، يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي :

هل تختلف قدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة – المرونة – الأصالة) لدى الأطفال من الجنسين (ذكور – إناث) باختلاف البيئة (الحضرية – شبه البدوية – البدوية) ؟

وينبثق من هذا التساؤل الأسئلة البحثية التالية :

(١) هل تختلف قدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة – المرونة – الأصالة) لدى الأطفال باختلاف البيئة (البدوية / شبه البدوية / الحضرية) ؟ .

(٢) هل تختلف قدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة – المرونة – الأصالة) لدى الأطفال باختلاف الجنس (الذكور / الإناث) ؟ .

(٣) هل تختلف قدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة – المرونة – الأصالة) لدى الأطفال باختلاف تفاعل البيئة والجنس ؟ .

(٤) ما الخصائص البيئية التي من شأنها أن تعوق أو تيسر التفكير الابتكاري في كل من البيئة (الحضرية – شبه البدوية – البدوية) ؟ .

أهمية الدراسة :

تتبلور أهمية هذه الدراسة في ثلاثة أنواع من الأهمية :

أولاً : أهمية نظرية : حيث تهدف الدراسة الحالية إلى إبراز متغيرات الدراسة ، وهي : البيئة الجيوفيزيقية ، والبيئة التكنوفيزيقية ، والبيئة الاجتماعية ، والبيئة النفسية ، والعلاقات النظرية فيما بينهم وبين الابتكار عبر البيئات البدوية وشبه البدوية والحضرية .

ثانياً : أهمية عملية : قد يكون لنتائج الدراسة الحالية جوانبها التطبيقية الميدانية في مجال التعليم الأساسي المدرسي ، حيث تعود أهمية الأبحاث التجريبية في مجال علم النفس بصفة عامة والابتكار بصفة خاصة إلى ما تؤديه هذه الأبحاث من فهم للفروق بين الأفواد في الجوانب المختلفة للتكوين العقلي ، كما أنها ذات إسهام مباشر في تطور العملية التعليمية وتنميتها حتى يمكن الوصول إلى أفضل الطرق التربوية السليمة لرفع مستوى التلاميذ في القدرة على التفكير الابتكاري .

* مصطلحات الدراسة :

[١] التفكير الابتكاري *Creativity* :

تتبنى الدراسة الحالية في تعريف التفكير الابتكاري على أساس الإمكانية الابتكارية ***Creative Potential*** والتي تعني في أبسط صورها استعداد الفرد لإنتاج افكار ونواتج جديدة ، أو إنتاج الأفكار القديمة في ارتباطات جديدة (**حلمي المليجي** ، ١٩٦٩ . ص ص ١٢٦ – ١٢٧) .

obeikandl.com

ويعرف التفكير الابتكاري – إجرائياً – بأنه : مجموع درجات تلميذ المرحلة الابتدائية بالبيئة (البدوية – شبه البدوية – الحضرية) في اختبار تورانس للتفكير الابتكاري للأشكال (الصورة – ب) والذي يقيس كل من : الطلاقة ، والمرونة ، والأصالة .

[٢] البيئة *Environment* :

يعرف الباحث البيئة على أنها " ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسان سواء أكان هذا الإطار اجتماعياً ثقافياً أو طبيعياً وبيولوجياً أو من صنع الإنسان ، وأن هذا الإطار يتميز بالديناميكية يحكمه مفهوم التأثر والتأثير ، ولا يتحقق مفهوم البيئة إلا من خلال وجود إثارة داخلية أو خارجية " ، من هذا التعريف يمكن أن يستخلص مكونات البيئة في : البيئة الجيوفيزيقية ، البيئة التكنوفيزيقية ، البيئة الاجتماعية ، البيئة النفسية .

[٣] الحضر *Urban* :

يطلق مصطلح التحضر على عدد كبير من الناس والأنشطة تتركز في منطقة جغرافية محدودة ، بقصد توفير أبعاد الحياة الإنسانية في تنظيم اجتماعي **(جابر عبد الحميد** وآخران ، ١٩٩١ ، **ص٤٠٤)** ، ومن الخصائص التي تميز حياة التحضر : حجم السكان الكلي ، والتحكم في البيئة الطبيعية ، والتطور التكنولوجي والتنظيم الاجتماعي **(Philip,1965,p.11)**.

ويعرف الباحث الحضر على أنهم " مجتمع المدينة ، وهم كل ما كان مستوطناً ويشتغل جميع سكانه في مجالات الصناعة والتجارة والتعليم والسياسة والأنشطة الدينية والثقافية ، ويضم عدداً كبيراً من القوى العاملة البشرية "

ويعرف الحضر – إجرائياً – في البحث الحالي على أنهم " مجموعة من السكان المستقرين في محافظة شمال سيناء وبالتحديد في مدينة العريش ".

[٤] البدو *Bedouin* :

البدوي الكامل هو من يسكن الصحراء ، ويستخدم الرعي كمهنة ، والجمل كوسيلة مواصلات ، وهو لم يخرج من نطاق الصحراء **(In : Joseph J . H . , 1989 , pp. 64 - 65)** .

ويعرف البدو – إجرائياً – بأنهم : مجموعة من سكان الصحـــراء ، ويســتخدموا الرعي كمهنة ، والجمل كوسيلة مواصلات ، ولم يخرجوا من نطاق الصحراء ، وهم مــن ساكني منطقة الحسنة ونخل بمحافظة شمال سيناء .

[٥] شبه البدو *Semi Bedouin* :

شبه البدو هم من يسكنون الصحراء ، ولكنهم متحضرين نوعاً ما ؛ فهم يستخدموا المواصلات الحضرية ، وشأنهم شأن الحضر في المعيشـــة ، ويعيشــون علــى هــامش التحضر ومازالوا محتفظين بالشخصية البدوية(**In : Joseph J . H . , 1989 , pp. 64 - 65**)

ويعرف شبه البدو – إجرائياً – بأنهم : مجموعة من السكان الذيــن تحيــط بــهم الصحراء من كل جانب ، وشأنهم شأن الحضر في المعيشة إلا أنهم مـــازالوا محتفظيــن بالطابع البدوي في شخصيتهم ، وهم من ساكني منطقة الشيخ زويد ورفح بمحافظة شــمال سيناء .

obeikandl.com